

القسم الثاني

نحو إقامة مجتمع المعرفة

نتوفر الآن على دراسة تفصيلية لواحد من أهم "النواقص الثلاثة" التي أبرزها تقرير "التنمية الإنسانية العربية 2002"، ألا وهو النقص في اكتساب المعرفة. والفصول (1-8) تمهد لصوغ رؤية مستقبلية لإقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية (الفصل 9).

الجزء الأول: في المفهوم

المعرفة والتنمية الإنسانية، ومجتمع المعرفة؛ في البلدان العربية

تبدأ معالجة موضوع تركيز هذا التقرير، المعرفة، في الجزء الأول من القسم الثاني (الفصل 1)، بتعريف المقصود بالمعرفة وبمجتمع المعرفة، ووضع إطار تحليلي للعوامل المجتمعية المؤثرة على اكتساب المعرفة في المجتمع، يفضي إلى الهيكل المنطقي لدراسة الموضوع في الفصول (2-8). ويختتم الفصل بمقابلة موجزة بين مقتضيات مجتمع المعرفة وسمات البلدان العربية، تاريخياً وفي الوقت الراهن، تمهد لبعض الإشكاليات التي تتناولها باقي فصول التقرير بقدر من التفصيل.



المعرفة والتنمية الإنسانية، ومجتمع المعرفة؛ في البلدان العربية

التقرير نظرة فاحصة على هذه القضية.

وكما ذكرنا في التقرير الأول، فإن شح المعرفة، وركود تطورها، يحكمان على البلدان التي تعانيهما بضعف القدرة الإنتاجية وتضاؤل فرص التنمية. حتى أن "فجوة المعرفة"¹، وليس "فجوة الدخل"، أصبحت تعدّ في نظر مؤسسة اقتصادية دولية كالبنك الدولي، المحدد الرئيسي لمقدرات الدول في العالم الآن. وجماع الرأي أن الفجوة في "القدرة على إنتاج المعرفة" بين البلدان النامية وتلك المتقدمة بعد أضخم من فجوة المعرفة. وعلى هذا، يحق القول بأن المعرفة هي معيار الرقي الإنساني في الطور الحالي من تقدم البشرية.

ومن ناحية أخرى، فإن البلدان التي تعاني من قصور واضح في اكتساب المعرفة أولى بأن تسعى لإقامة مجتمع المعرفة حيث يتعاظم العائد التتموي على اكتساب المعرفة في المجتمعات التي يقل فيها اكتساب المعرفة وتزداد، من ثم، فرص الاستفادة من معين المعرفة المتاح على الصعيد العالمي. بعبارة أخرى، في المنظور المقارن، تعظم الحاجة إلى حفز اكتساب المعرفة، ويتعاظم العائد التتموي المتوقع عليه، في البلدان العربية.

صممت سلسلة "تقرير التنمية الإنسانية العربية" بحيث يكون العدد الأول، الذي صدر في يوليو/تموز 2002، شاملاً لجميع أبعاد التنمية الإنسانية وفق التعريف الذي تبناه التقرير، على أن تليه أعداد أخرى تتناول بالتدقيق والفحص المعمق قضايا يعينها تعدد ذات أهمية جوهرية للتنمية الإنسانية في البلدان العربية. ويُنفتح هذا التقليد بهذا العدد الثاني من السلسلة والمخصص لموضوع المعرفة.

يضع هذا الفصل الأساس المفهومي لمسائل المعرفة ويعرّف المقصود بمجتمع المعرفة ويختتم بالتطرق، بإيجاز خاطف، لبعض القضايا التي تثيرها مقابلة سمات مجتمع المعرفة بخصائص المجتمعات العربية في الوقت الراهن، والتي سيتم تناولها بقدر من التفصيل في فصول تالية من التقرير، انتهاء بتناول سريع لأحد المحددات الجوهرية لتوافر المعرفة، ألا وهو قيام طلب مجتمعي، قوي وفعال (تسنده "قوة شرائية" بالمعنى الواسع، أي رغبة ومقدرة على تخصيص الموارد اللازمة)، ومطرّد بحيث يحفز العمليات المجتمعية لنشر وإنتاج المعرفة.

لماذا المعرفة موضوعاً للتقرير الثاني؟

ليس اختيار المعرفة، أو إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية، موضوعاً للعدد الثاني من تقرير "التنمية الإنسانية في البلدان العربية" بحاجة لكثير تبرير في ضوء الدور المحوري لاكتساب المعرفة في التنمية الإنسانية من ناحية، وسمات الحقبة الراهنة من تطور البشرية التي تقوم على كثافة المعرفة والتسارع الانفجاري في إنتاجها في مجتمعات المعرفة من ناحية أخرى، والتخلف النسبي للمنطقة العربية في مضمار اكتساب المعرفة، ناهيك عن إنتاجها، من ناحية ثالثة. ولا غرو أن التقرير الأول قد أبرز "نقص اكتساب المعرفة" باعتباره أحد "النواقص الثلاثة" التي تعيق بناء التنمية الإنسانية في البلدان العربية. وكان من الطبيعي، والحال هذه، أن يلقي هذا

إن المعرفة هي

معياري الرقي

الإنساني في الطور

الحالي من تقدم

البشرية.

إدوارد سعيد: كنه المعرفة

الإطار 1-1

هذه هي بعض القضايا الجوهرية التي تواجهنا، والتي يمكن إيجازها في العبارة- السؤال: "كيف نفكر؟"
2- "الزمن الراهن هو ساحة المعركة والمعرفة هي سلاحنا." *

1- لا نريد المعرفة كمنتج أو سلعة، ولا نريدها كعملية إصلاح تعني مكتبات أكبر أو عدداً أكبر من الحواسيب فقط. المعرفة التي نريد تختلف نوعياً، وتقوم على الفهم عوضاً عن السلطة والتكرار غير الناقد أو الإنتاج الألي.

* خاتمة محاضرة بعنوان: الذاكرة، عدم المساواة والسلطة: فلسطين وعالمية حقوق الإنسان، الجامعة الأمريكية في القاهرة، آذار/مارس 2003.

ليست المعرفة مجرد الحقائق، ولكن كيف ترتبط الحقائق بحقائق أخرى؛ كيف تتكون الحقائق في الأساس، هل ترتبط بافتراضات أو نظريات؟ وكيف يمكن للمرء أن يحكم على العلاقة بين الحقيقة والمصالح وكيف يمكن فهم الواقع كتاريخ؟

اكتساب المعرفة والتنمية الإنسانية

التقليدية للعلم والبحث العلمي بل تنتج المعرفة كذلك عن صنوف التعبير الفني والأدبي والنشاط الإنتاجي في الثقافتين العاملة والشعبية⁵.

المعرفة

المعرفة هي مورد

إنساني لا ينقص،

بل ينمو،

باستعماله.

ومن المهم التأكيد على أن المعرفة حالة إنسانية أرقى من مجرد الحصول على المعلومات، بل إن المعرفة يمكن، في عصر الترخمة المعلوماتية هذا، أن تضيع في خضم فيضان المعلومات عبر شبكة الإنترنت مثلاً. حيث يتطلب التوصل للمعلومات، ناهيك عن المعرفة، تنقيحاً في ركام المعلومات المتاحة، وانتقاء واستخلاصاً، وربما معالجة، كي يمكن الوصول لمعلومات مفيدة. ويمكن القول أيضاً أن المعرفة أقل درجة، على سلم السمو الإنساني، من الحكمة، التي تشترط التزاماً بالقيم الأخلاقية العليا للإنسانية مثل الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية.

وفي جميع المنظومات البشرية، لا يسجل إلا كم قليل من مجمل معرفة المنظومة، وتزداد نسبة المعرفة غير المسجلة في المنظومات البشرية التي يقل فيها اكتساب المعرفة. وتزيد، من ثم، في مثل هذه المنظومات نسبة المعرفة المتضمنة بأشكال غير موثقة رسمياً في النماذج المعرفية الفردية والجمعية، في الثقافة العامة وفي وصفات السلوك والتلقائية.

تتكون المعرفة² من البيانات³ والمعلومات⁴ والإرشادات والأفكار، أو مجمل البنى الرمزية التي يحملها الإنسان أو يمتلكها المجتمع، في سياق دلالي وتاريخي محدد، وتوجه السلوك البشري، فردياً ومؤسسياً، في مجالات النشاط الإنساني كافة، في إنتاج السلع والخدمات، وفي نشاط المجتمع المدني والسياسة وفي الحياة الخاصة.

وتتضمن المعرفة، على سبيل المثال، البنى الرمزية التي تُمتلك عبر التعليم الرسمي والدروس المستفادة من خبرات العمل والحياة، وتشمل الحقائق والقصص والصور وموجهات السلوك البشري، موثقة، أو شفاهة أو ضمنية. وتشتمل المعرفة المؤسسية لمجتمع ما على التاريخ والثقافة، والتوجهات الاستراتيجية، والأشكال التنظيمية.

وعلى هذا، فإن المعرفة قد تكون صريحة (مدونة أو مسجلة على صورة أو أخرى) أو ضمنية (في موجهات السلوك البشري التلقائية مثلاً). كما أن إنتاج المعرفة لا يقتصر على الأشكال

المعرفة حالة

إنسانية أرقى من

مجرد الحصول

على المعلومات.

الإطار 2-1

التعلم الجمعي سبيل تنمية رأس المال المعرفي، أو تكريس الوضع الراهن

في البلدان العربية انتشار ثقافة الخرافة والغيبيات وموجهات السلوك المكرسة للأوضاع الراهنة.

ويثور خلاف شديد حول ما يمكن اعتباره تعلماً مفيداً وذلك الذي يمكن أن يعد تعلماً مضراً، حيث يعبر الخلاف عن اختلاف وجهات النظر، تعبيراً عن تباين المصالح الاجتماعية التي تقف وراءها. ويتمثل المخرج في أعمال معيار حاسم. وفي حالتنا نقترح أن يكون المعيار هو المساهمة في إقامة التنمية الإنسانية، أو إعاقته، وفقاً للمفهوم الذي تتبناه سلسلة تقرير "التنمية الإنسانية العربية". وعلى أساس هذا المعيار يتعين فرز عناصر النموذج المعرفي العربي وانتقاء تلك التي تؤازر التنمية الإنسانية، وتدعيمها.

تنبثق من نظرة المنظومة للعالم عبر النموذج المعرفي العام الذي يتمثله أعضاء المنظومة.

ويبرز التساؤل هنا عن فحوى النموذج المعرفي السائد في الوطن العربي، ومدى مساهمته في إقامة التنمية الإنسانية، أو إعاقته.

وتميل غالبية المنظومات البشرية إلى امتلاك نماذج معرفية مشتركة تستهدف حماية الأوضاع الراهنة، وتكرسها في المجتمع على صورة مؤسسات وحوافز مجتمعية محافظة، بما يقعد أفرادها عن تحدي الأوضاع القائمة، ويقفل من فرص التعلم وينطوي، من ثم، على إدامة الوضع الراهن. مثل ذلك التعلم ليس مفيداً وقد يكون مضراً في المنظور التنموي، ومن أمثلة ذلك

في كل المجتمعات يوجد عدد، قل أو كبر، من أفراد يمتلكون قدرماً ما من المعرفة. ويكمن تحدي بناء رأس المال المعرفي على صعيد المنظومة البشرية في تحويل المعارف الفردية إلى معرفة جمعية. يجتمع في أدمغة الأفراد في أي منظومة بشرية كم ضخ من معرفة المنظومة (من صنفي لماذا وكيف) تشكل نموذجاً معرفياً على المستوى الفردي. ويمكن التمييز بين المعرفة الناجمة عن هذا النوع من التعلم وصنف أرقى من المعرفة ينجم عن التعلم المفهومي، الذي يؤدي إلى تغيير الأطر المعرفية بما قد يحمل تغييراً في النظرة للعالم. ويصل الأمر إلى تغيير النموذج المعرفي العام عندما تتخلق أفعال جديدة تنغرس في أطر معرفية جديدة. وإجمالاً يمكن القول بأن النماذج المعرفية الفردية

Knowledge 2

Data 3

Information 4

ويقتضي تحويل البيانات إلى معلومات عمليات معالجة من قبيل التقييم والتحليل.

5 صار مستقراً أن كثيراً من الثقافات المضمرة في المعارف الشعبية تشكل حلاً عبقرياً للمشكلات المحلية-انظر مثلاً في استخدام جذوع النخل في تدعيم المباني والأسطح في البيئات العربية الصحراوية الذي يفصل الثقافات الغربية "الحديثة" خاصة في مقاومة غوائل المناخ الصحراوي القاسي بما لا يقاس. وفي وصفات الطب الشعبي في العالم الثالث، خاصة أمريكا اللاتينية، الأمر الذي أدى بالشركات عابرة الجنسيات أن تتدافع لاستملاك مثل هذه المعارف، وتحويلها إلى مزارع محترمة تجميعها براءات اختراع تمنعها حتى عن ملاكها الأصليين.

ومن الخصائص الجوهرية للمعرفة، التي تبدو وكأنها متناقضة، الازدياد بالاستعمال. فالمعرفة هي مورد إنساني لا ينقص، بل ينمو، باستعماله.

ولعل من المفيد أول الأمر، التفرقة على صعيد المجتمع بين الثروة المعرفية ورأس المال⁶ المعرفي. حيث الثروة المعرفية هي مجمل الأصول المعرفية، أو جماع المعارف أو البنى الرمزية⁷ في المجتمع، بينما رأس المال المعرفي هو ذلك القسم من الثروة المعرفية الذي يستخدم في إنتاج معارف جديدة، ويؤدي نتيجة لذلك إلى نمو الثروة المعرفية.

ونلاحظ أن الثروة المعرفية لمجتمع ما تمتد، من حيث المبدأ على الأقل، إلى معين المعرفة البشرية العام، الواسع والمتجدد أبداً، وإن حالت دون الاعتراف الحر من هذا المعين عوائق داخلية، تتصل بالبنية المؤسسية والسياق المجتمعي لمنظومة المعرفة في المجتمع نفسه، أو خارجية، تتعلق بالتنظيم العالمي لاكتساب المعرفة، كما سنشير في جزء تال.

والنشاط الإنساني الأساس في القدرة على نشر وتوليد المعارف على مستوى الفرد أو المنظومة المجتمعية هو التعلم، ولذا فإن التعلم الفردي والجمعي هما من أهم قنوات بناء رأس المال المعرفي في المجتمعات البشرية.

المعرفة والتنمية الإنسانية

في مضمون التنمية الإنسانية، يُعدُّ اكتساب المعرفة أحد الأحقيات الإنسانية الأساسية التي يقوم للبشر حق أصيل فيها مجرد كونهم بشراً.

ولكن اكتساب المعرفة هو أيضاً سبيل التنمية الإنسانية، في جميع مجالاتها. فالتنمية الإنسانية، في الجوهر، هي نزوع دائم لترقية الحالة الإنسانية للبشر، جماعات وأفراداً، من أوضاع تعد غير مقبولة في سياق حضاري معين إلى حالات أرقى من الوجود البشري، تؤدي بدورها إلى ارتقاء منظومة اكتساب المعرفة. وليس من سبيل إلى هذا الارتقاء بالحالة الإنسانية في الطور الحالي من تطور البشرية: مجتمع المعرفة العالمي، إلا اكتساب المعرفة، وتوظيفها بفعالية. ومن ثم، يحق القول بأن البشر هم صانعو المعرفة، ولكنهم أيضاً صنيعتها.

بعبارة أخرى، فإن اكتساب المعرفة من خلال التعليم/التعلم، والبحث والتطوير التقني، وأشكال الإنتاج الأدبي والفني، في الثقافتين العاملة والشعبية، وتوظيفها بفعالية، هي وسائل التنمية الإنسانية في بدايات القرن الحادي والعشرين، سواء كان ذلك في العمل لتوسيع نطاق الحرية وضمانها عبر إقامة الحكم الصالح، أو ضمان الصحة، أو ضمان مقومات الرفاه المادي والمعنوي الأخرى. ومن أهم أدوار المعرفة في هذا الصدد التمكين من اتخاذ القرار عقلانياً على المستويين الفردي والجمعي.

وهكذا، في العصر الراهن من تطور البشرية يمكن القول أن المعرفة هي سبيل بلوغ الغايات الإنسانية الأخلاقية الأعلى: الحرية، والعدالة والكرامة الإنسانية.

على وجه الخصوص، بات مستقراً أن المعرفة عنصر جوهري من عناصر الإنتاج، ومحدد أساسي للإنتاجية، بمعنى أنه ثمة تضافراً قوياً بين اكتساب المعرفة والقدرة الإنتاجية في المجتمع. ويزداد هذا التضافر قوة في النشاطات الإنتاجية عالية القيمة المضافة التي تقوم، وبدرجة متزايدة، على كثافة المعرفة، والتقدم المتسارع للمعارف والقدرات. هذه النشاطات هي معقل القدرة التنافسية على الصعيد العالمي، خاصة في المستقبل. وهي، من ثم، أحد المدخل الرئيسية للتنمية في البلدان النامية.

وبناء على كل ذلك، تزداد الحاجة إلى العمل بجد على تجاوز التخلف المعرفي، وإلى توظيف المعرفة بفعالية، خاصة في المجتمعات التي تتردى فيها التنمية الإنسانية، كما في البلدان العربية.

والواقع أن منظومة اكتساب المعرفة تواجه، في البلدان المتخلفة، أزمة مركبة. فالمنظومة ذاتها تعاني من تخلف المجتمع، لكونها جزءاً لا يتجزأ عنه، وتحد من فاعليتها قيود كثيرة يفرضها هذا السياق المجتمعي.

من المعروف مثلاً أن بعض البنى الرمزية في المجتمعات المتخلفة قد تعيق التنمية الإنسانية وتقوم الحاجة، من ثم، لمقاومة مثل هذه البنى ولإنشاء أو تعضيد تلك التي تحفز التنمية الإنسانية. وإضافة إلى ذلك، فإن عناصر معرفة منظومة بشرية يمكن، كما في حالة المجتمعات

التنمية الإنسانية،

في الجوهر، هي

نزوع دائم لترقية

الحالة الإنسانية

للشعر، جماعات

وأفراداً.

البشر هم صانعو

المعرفة، ولكنهم

أيضاً صنيعتها.

في العصر الراهن

من تطور البشرية

يمكن القول أن

المعرفة هي سبيل

بلوغ الغايات

الإنسانية

الأخلاقية الأعلى:

الحرية، والعدالة

والكرامة الإنسانية.

6 لا يقتصر مصطلح "رأس المال" على الأموال بالمعنى الدارج. في المصطلح بالإنجليزية رأس المال هو "وسائل الإنتاج التي يصنعها البشر"، قاموس "أوكسفورد" في الاقتصاد (بالإنجليزية)، 1997. والمال، في اللغة العربية، هو "كل ما يملكه الفرد أو الجماعة من متاع"، المعجم الوجيز.

7 الرمز وسيلة أساسية للتعبير البشري وللتواصل الإنساني. تشتد الحاجة إليه، ولنظمه في أنساق متناغمة بناثياً ومتعارف عليها، كلما زاد تعقد الاجتماع البشري. ولئن بدأ استعمال الرموز على صورة تعبيرات جسدية عن حالات الوجود البشري مثل الفرح والألم، فإن المثال الأول على نسق رمزي متكامل هو اللغة، أحد أهم وسائل الاجتماع البشري. كما أن قصيدة أو قطعة موسيقية أو لوحة فنية هي أمثلة أخرى لبُنى رمزية.

إن المجتمع الذي لا

يكافئ، بشكل

واضح، اكتساب

المعرفة وتوظيفها،

من خلال التعليم

والتعلم والبحث

والتطوير التقني

وجميع صنوف

التعبير الأدبي

والفني، إنما يحكم

على نفسه بتردي

المعرفة.

إن نفع المعرفة لا

يتوقف على

مضمونها المجرد،

وإنما على مدى

إسهام هذا المضمون

في إيجاد حلول

لقضايا يجري

الاهتمام بها في

مجتمع معين وفي

وقت معين.

النامية، أن تتناثر في أوعية متعددة للمعرفة الفردية وغير الرسمية، بحيث يصعب، في غياب جهد منظم ومثابر لنظم وتنمية رأس المال المعرفي، تسخير عناصر المعرفة المبعثرة في تطوير المنظومة، خصوصا في بناء رأس المال المعرفي.

ولكن في الوقت نفسه، تشتد في البلدان النامية الحاجة لمنظومة فعالة لاكتساب المعرفة بحيث تصبح مثل هذه المنظومة مناط الأمل في تجاوز التخلف، من خلال المعرفة سبيلاً للنماء والتحرر، خاصة في عالم كثافة المعرفة والعولمة.

وفي الخروج من هذه العقدة المزدوجة يكمن أحد المفاتيح الرئيسية للتقدم في البلدان النامية.

المحددات المجتمعية لاكتساب المعرفة

المعرفة معين متجدد، دائب التنامي. ولذلك فمن الضروري أن تقوم منظومة مجتمعية كفاء، ونشطة وتتسم بالمرونة، على مهام اكتساب المعرفة، نشرها وإنتاجها، وتوظيفها في خدمة التقدم. وتتأثر منظومة اكتساب المعرفة بالسياق العام للمجتمع الذي تقوم فيه، وبالعالم المحيط، وبحال البشرية جمعاء في سياق تطورها التاريخي.

ولا خلاف في أن إشكالية توظيف العلم تتكيف في أي مجتمع بسماته الخاصة. كذلك تكيف البيئات الإقليمية والعالمية منظومة اكتساب المعرفة في أي مجتمع. وتتسم البيئة الإقليمية

للبلدان العربية بأهمية فائقة، وحساسية شديدة، في ميدان اكتساب المعرفة، كما في غيره. وتقع البلدان النامية، ومنها العربية، تحت وطأة قيود البيئة العالمية بدرجة أقوى من غيرها، ولا تتاح لها إمكانية الاستفادة من الفرص التي توفرها "العولمة" على حد سواء مع البلدان المتقدمة، إن يكن فقط لمحاولة كل من البلدان العربية الانتساب إلى العالم منفرداً بما يحكم عليه، لا محالة، بموقع هامشي وتابع.

طبيعي أن المجتمع الذي لا يكافئ، بشكل واضح، اكتساب المعرفة وتوظيفها، من خلال التعليم/التعلم والبحث والتطوير التقني وجميع صنوف التعبير الأدبي والفني، إنما يحكم على نفسه بتردي المعرفة. كما أن المجتمع الذي لا يثمن المعرفة عالياً، لا يوفر لمنظومة اكتساب المعرفة الموارد أو المناخ الاجتماعي اللازمين لنشاطها بكفاءة. وتكون محصلة هذا السياق، غير المواتي لاكتساب المعرفة، تدني الإنتاجية وقصور التنمية الإنسانية.

غير أن هناك أربعة جوانب أخرى مهمة للسياق الاجتماعي لمنظومة اكتساب المعرفة في البلدان العربية: العلاقة مع النشاط المجتمعي، خاصة في ميدان الإنتاج، ودور الدولة، والبعد القومي، والبيئة العالمية. نشير فيما يلي إلى الجانبين الأول والثاني، ونرجئ تناول بعدي السياق الإقليمي والعالمي إلى فصل خاص فيما بعد (الثامن).

فقيام علاقة وثيقة بين منظومة اكتساب

الخصائص الاقتصادية للمعرفة

الإطار 1-3

الحاجة إلى الحصول على تصريح بالتطبيق⁸، وإلى خبرات أو معدات رأسمالية لا تتوافر محليا. فتأتي حسيلا نقل التقنية متواضعة، بسبب ارتفاع تكلفة المعاملات⁹ وغياب النظم الكفيلة بتعظيم الاستفادة من الخبرات المحلية المتطورة أو المستوردة.

بعبارة أخرى، فإن نفع المعرفة لا يتوقف على مضمونها المجرد، وإنما على مدى إسهام هذا المضمون في إيجاد حلول لقضايا يجري الاهتمام بها في مجتمع معين وفي وقت معين.

المصدر: محمد محمود الإمام، ورقة خلفية للتقرير.

ولهذا البعد الأخير أهميته القصوى بالنسبة للموقف من قضية نقل التقنية من مجتمعات تختلف في هياكل مواردها وفي قضاياها المجتمعية والبيئية. فقد عانت الدول النامية بسبب محاولات نقل معارف لها بالصور التي توصلت إليها دول متقدمة، دون تكييف أو تطويع، مما قد يتسبب في إنقاص جدوى استخدام هذه المعارف، أو في إهدار موارد نادرة نسبيا لدى الدول النامية بالقياس إلى ما هو متاح للدول المتقدمة.

وقد ينعكس ذلك على إنشاء حاجة غير مبررة لتوفير متطلبات تطبيق المعرفة المنقولة، منها

تتميز المعرفة بعدد من الصفات التي تحدد طبيعتها الاقتصادية. فهي أثرية بمعنى قدرتها على تخطي المسافات والحدود، خاصة إذا كانت مرقمنة. ويصحب ذلك أنها متواصلة البقاء لا تفتنى بالانتقال من شخص إلى آخر، مما يعني إمكان وجودها عددا لا نهائيا من المرات دون حاجة إلى إعادة إنتاجها من جديد. ومع ذلك قد يتوجه الطلب إلى حفز محاولة إعادة إنتاج المعرفة نفسها بتكلفة إضافية، ربما في صورة أخرى لتحقيق أهداف اقتصادية معينة مثل خفض التكلفة، أو تقليص الزمن اللازم للإنتاج، أو التعامل الأفضل مع هيكل الموارد المتاحة للمجتمع ومع صفاته البيئية.

المعرفة والنشاط المجتمعي في أي مجتمع، من خلال قطاع الأعمال (العام والخاص) والحكومة ومنظمات المجتمع المدني، شرط جوهرى لحيوية المنظومة، ولتعزيز دورها في ترقية الإنتاجية في المجتمع. وعلى وجه الخصوص، فإن التصور الحديث عن التطوير التقني يقتضي التحاماً عضوياً بين مواقع العمل المجتمعي ومؤسسات البحث (على خلاف التصور الأقدم الذي يعتبر النقانة تطبيقاً لمكتشفات علمية في مؤسسات البحث). والتعليم الأنجع، خاصة في المساقات التقنية¹⁰، لا غنى له عن رابطة قوية مع مواقع الإنتاج.

والجانب الثاني للسياق المجتمعي لاكتساب المعرفة هو الأهمية الحاسمة لدور الدولة بجميع مؤسساتها (وليس مجرد الحكومة) في دعم منظومة اكتساب المعرفة، خاصة في المجتمعات الآخذة في النمو.

بالتعبير الاقتصادي الفني، فإن "سوق المعرفة" مشهورة تقليدياً بالفشل، وبوجه خاص في البلدان النامية. فالمعرفة كانت تعد تقليدياً بلغة الاقتصاد، "سلعة عامة"¹¹ لا يمكن منتجها بالضرورة من امتلاك كل العائد عليها. ولا يترتب على استفادة أحد منها منع آخرين من الاستفادة¹² ومن ثم يتعدى العائد عليها، للمجتمع ككل، ما يمكن أن يستملكه منتج المعرفة مباشرة. ونتيجة لكل ذلك، يؤدي الضعف النسبي لحافز الربح، في نظام السوق الحر، في مضمار اكتساب المعرفة، إلى عزوف المشروع الربحي، خاصة في البلدان النامية، عن الاستثمار في إنتاج المعرفة. وعلى هذا، ينطوي ترك منظومة اكتساب المعرفة لحافز الربح على خطر قلة إنتاج المعرفة، وحرمان الأضعف اجتماعياً من امتلاكها. وعلى مستوى بلدان العالم، يعني فشل السوق هذا تكريس تخلف منظومة اكتساب المعرفة في البلدان النامية. ويصح "فشل سوق المعرفة" على مستوى البلد كما على صعيد العالم، فتعاني الفئات الاجتماعية الأضعف في البلدان النامية حرماناً أكبر من المعرفة.

ويؤكد تقرير البنك الدولي عن "المعرفة من أجل التنمية" (بالإنجليزية، 1998) على هذه الأمور في أكثر من موقع، مستخلصاً الأهمية الحاسمة لدور الدولة في فعالية منظومة اكتساب المعرفة، خاصة في البلدان النامية.

صحيح أن القطاع الربحي يلعب دوراً مهماً في

منظومة اكتساب المعرفة في الاقتصادات المتقدمة، غير أن دور الدولة يبقى جوهرياً، خاصة في دعم البحث والتعليم الأساسيين- اللذين لا يترتب عليهما، وبخاصة في البلدان الأقل نمواً، عائد اقتصادي سريع وملمس يغري القطاع الربحي بالاستثمار فيهما- رغم أنه لا غنى عن أيهما في منظومة حيوية لاكتساب المعرفة، خاصة في الأجل الطويل. والأهم أن دور الدولة في هذه الاقتصادات (المتقدمة) كان أقوى في مراحل بناء الأمة-الدولة، التي مازالت كثرة البلدان النامية، لاسيما العربية، في بداياتها.

وتكتسي هذه النقطة (أي الدور الحاسم للدولة) أهمية خاصة في حالة البلدان النامية التي تمر بتحول اقتصادي ينطوي على تقليل، مبالغ فيه في بعض الأحيان، في الدور المجتمعي للدولة. على حين تتفق النظرة الأحدث لتفسير النمو الاقتصادي، ناهيك عن التنمية، على دور حاسم للدولة، لا يتوقف عند مجرد التغلب على "فشل السوق" وإنما يتعداه إلى الفعل المبادر والنشط في مضمار حفز اكتساب المعرفة.

وفي النهاية، فإن حظ مجتمع ما من اكتساب المعرفة، ومدى توظيفها في خدمة التنمية الإنسانية، رهن بالبنى المجتمعية القائمة: الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما هو رهن بقيام عديد من المؤسسات المجتمعية وبفعاليتها، على النحو الذي سنتناول ببعض التفصيل فيما بعد.

مجتمع المعرفة

نقطة البدء في الاهتمام بالمعرفة هي تنامي الاعتقاد بأن الأصول المعرفية للمجتمع: المعرفة والخبرة، لا الأصول المادية (الخام أو الرأسمالية) أو المالية، هي المحددات الجوهرية للإنتاجية والتنافسية، ومن ثم التقدم، في عالم اليوم والغد.

يُطلق وصف "مجتمع المعرفة" على الطور الراهن، والأحدث، من مسيرة التقدم البشري، كما يتبلور في المجتمعات البشرية الأكثر تقدماً.

والمقصود بمجتمع المعرفة على وجه التحديد أنه ذلك المجتمع الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها، وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة، والحياة الخاصة، وصولاً لترقية الحالة الإنسانية باطراد، أي إقامة

إن حظ مجتمع ما
من اكتساب المعرفة،
ومدى توظيفها في
خدمة التنمية
الإنسانية، رهن
بالبنى المجتمعية
القائمة: الثقافية
والاجتماعية
والاقتصادية
والسياسية.

ينطوي ترك
منظومة اكتساب
المعرفة لحافز
الربح على خطر
قلة إنتاج المعرفة،
وحرمان الأضعف
اجتماعياً من
امتلاكها.

تعني إقامة مجتمع

المعرفة تأسيس

نمط إنتاج المعرفة

عوضاً عن هيمنة

نمط الإنتاج

الريعي، القائم الآن

في أغلب البلدان

العربية.

يعني مجتمع

المعرفة اعتماد

المعرفة مبدأً ناظماً

لجماع الحياة

البشرية.

التنمية الإنسانية.

يسمى "ثقافة المعرفة" شاملة قيم الحفز على اكتساب المعرفة وتوظيفها وسبباً فعالة لإثابة نشر المعرفة وإنتاجها. في النهاية، يقوم في هذه المجتمعات متصاعد خبير بين نشاط منظومة اكتساب المعرفة ومدى حمل السياق المجتمعي لها.

ويمكن القول إن تحدي اكتساب المعرفة يكمن في تحويل المجتمع من منظومة تضم بعض أفراد عارفين إلى منظومة تتمحور بكاملها حول خلق المعرفة ونشرها في ربوعها كافة وتوظيفها بكفاءة في ترقية الحالة الإنسانية. إذ عادة ما تمتلك المجتمعات كمأ هائلاً من المعرفة مبعثراً في خزانات قابعة في أدمغة الناس ووسائل احتفاظ متناثرة. وتتوطن أصول معرفية أقل تبلوراً، متناثرة. وتتنشأ في النشاط التلقائي للمجتمع وفي ثقافته العامة. ويمكن لقيادة رشيدة للمجتمع أن تعمل على نشر وإنتاج المعرفة باعتبارها استثماراً مجزياً في خدمة الغرض الإستراتيجي للمجتمع، أي بناء التنمية الإنسانية، من خلال برنامج قصدي لتفعيل هذا الخضم من المادة المعرفية المبعثرة. ولكن هذا التحويل يستلزم نقلة جوهرية بشأن التعامل مع الأصول المعرفية. بالأخص، يقتضي النجاح في هذا المسعى أن يسعى المجتمع لتشجيع خلق رأس المال المعرفي ونشره في عموم المنظومة بدلاً من كبت تبلوره والتضييق على استيعابه وتوظيفه. كذلك يتعين إقامة بنية مجتمعية مواتية لاحتضان نشوء رأس المال المعرفي وتوظيفه بكفاءة. إلا أن بلوغ المراتب الراقية من مجتمع المعرفة يتطلب حتماً امتلاك القدرة على إنتاج المعرفة، الأمر الذي يتطلب توطيد العلم سبيلاً لإنتاج المعرفة في البلدان العربية.

في عبارة واحدة، يعني مجتمع المعرفة اعتماد المعرفة مبدأً ناظماً لجماع الحياة البشرية.

ويمكن القول، دون تجاوز، أن البلدان العربية تبقى جد بعيدة عن مجتمع المعرفة. بمعنى أن فجوة المعرفة بين العديد من البلدان النامية، ومنها العربية، ومجتمعات المعرفة ضخمة وتتنامى بصورة متسارعة¹³، حتى يقدر البعض (مثلاً، فتحي الزياد، 2003) أن فرصة البلدان النامية في اللحاق بمجتمعات المعرفة تتطلب قيام نمط من النمو الأسّي¹⁴ في اكتساب المعرفة وتوظيفها حتى يمكن سد فجوة المعرفة بين صفتي المجتمعات هذين، شكل (1-1). وينطوي نمط النمو هذا على تسارع إنتاج المعرفة

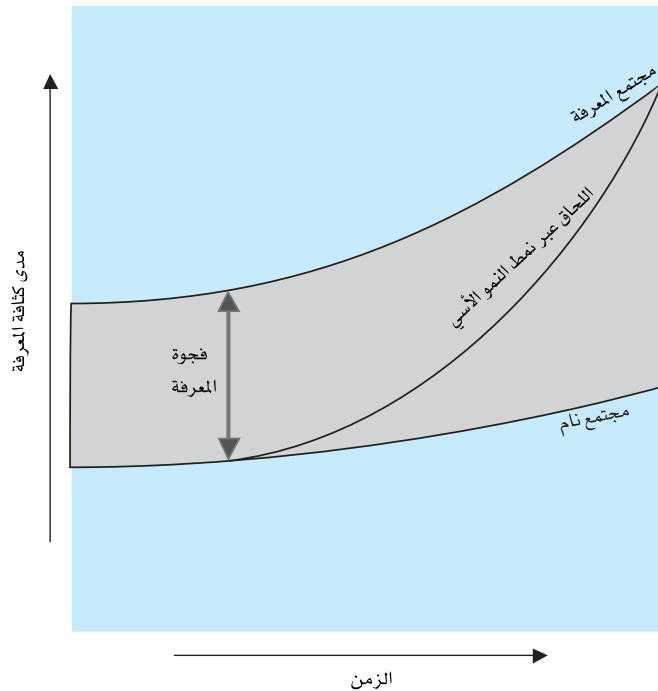
في هذه المجتمعات تلعب المعرفة دوراً حاسماً ومتعاضداً، في تشكيل بناها المجتمعية، وأدائها في مجالات الاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة، وفي حياة أعضاء هذه المجتمعات بحيث يتكثف المدخل المعرفي في الحياة اليومية لهم. وفي مجال العمل، على وجه الخصوص، يزداد عدد العاملين في منظومة المعرفة، ونصيبهم من قوة العمل، وترتفع نسبة وقت العمل المخصصة للنشاطات المعتمدة على كثافة المعرفة.

بلغة الاقتصاد، تعني إقامة مجتمع المعرفة تأسيس نمط إنتاج المعرفة عوضاً عن هيمنة نمط الإنتاج الريعي، الذي تشتق القيمة الاقتصادية فيه أساساً من استتباب المواد الخام، القائم الآن في أغلب البلدان العربية، إما مباشرة في البلدان العربية النفطية أو اشتقاقاً في غيرها نتيجة للاعتماد على المعونات وتحويلات العاملين من الأولى.

على وجه الخصوص، تتعدد في مجتمع المعرفة المؤسسات المجتمعية التي تنتمي إلى منظومة المعرفة، نشراً وإنتاجاً، وتتنامى. وتضمن مجتمعات المعرفة سياقاً مجتمعياً مواتياً لنشاط منظومة المعرفة، بحيث يتأسس فيها ما يمكن أن

شكل 1-1

نموذج توضيحي لسد فجوة المعرفة عبر نمط النمو الأسّي في اكتساب المعرفة



13 راجع قسم قياس المعرفة فيما بعد، حيث أن الفارق بين البلدان العربية و"نمور" شرق آسيا في تراكم رأس المال البشري يعكس هذه الفجوة بجلاء.
14 Exponential، ويعني، رياضياً، أن يخضع إنتاج المعرفة وتوظيفها لمعدل نمو نسبي ثابت في وحدة الزمن، مع تساها في الصفر.

وتوظيفها في البلدان النامية بمعدلات حتى أسرع مما ساد في مجتمعات المعرفة الحالية، التقدير الذي يتعين فهمه كمؤشر على جسامة التحدي الذي تواجهه البلدان النامية إن أرادت إقامة مجتمع المعرفة بدءاً من حالتها الابتدائية الراهنة. مع ملاحظة أن بلدانا ناهضة في العالم الثالث قد ارتقت فعلاً نمط النمو الأسّي هذا وصولاً لإقامة مجتمع المعرفة فيها، خاصة عبر التميز في مجالات معرفية معينة.

منظومة اكتساب المعرفة

يتطلب تحويل الثروة المعرفية إلى رأس مال معرفي، وتوظيف رأس المال المعرفي بكفاءة في إنتاج معارف جديدة، عمليتين مجتمعيتين مترابطتين، محور الأولى نشر المعرفة المتاحة بينما تنصب الثانية على العمليات المباشرة لإنتاج معارف جديدة في مجالات المعرفة جميعها: العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات والفنون والآداب وصنوف النشاط المجتمعي كافة. وتقتضي كفاءة هذين النشاطين قيام مؤسسات مجتمعية لتحقيق أغراضهما - أو، ربما أفضل، باعتبار حركة المؤسسات في الزمن، عمليات مجتمعية، نشطة وفعالة.

ومنظومة اكتساب المعرفة في مجتمع ما منظومة مركبة ومعقدة تعكس خصوصيات المجتمع: التاريخ والثقافة والمؤسسات. ومن شروط نجاح هذه النظم، سهولة تدفق المعرفة بين جميع وحدات إنتاج وتوظيف المعرفة حتى يمكن أن تتحقق أقصى إنتاجية لكل من الوحدات ولكامل المنظومة المجتمعية في آن.

تتعدد العمليات والمؤسسات المجتمعية لبناء رأس المال المعرفي وتوظيفه في نشر المعرفة وإنتاجها، وتتداخل فيما بينها. نتيجة هذا التعدد تتوقف كفاءة نشر وإنتاج المعرفة، في المقام الأول، على السياق التنظيمي الذي يحيط بهذه العمليات والمؤسسات، ويحدد شروط قيامها ونشاطها وينظم العلاقات بينها بما يخدم الغرض الأسمى منها جميعاً. لذا يعد السياق التنظيمي لنشر وإنتاج المعرفة أحد أهم محددات إقامة مجتمع المعرفة. ففي المجتمعات المتخلفة معرفياً، لا ينهض سياق تنظيمي كفاء وفعال لنشر وإنتاج المعرفة. ويرتب هذا الاعتبار أهمية كبيرة لنظم إدارة المعرفة ونقلها وتوطينها وإنتاجها، ولدور المنظمين (رواد الأعمال¹⁵) وحاضنات المشروعات، ودور الدولة في فعالية منظومة المعرفة.

إلا أن السياق التنظيمي لعمليات ومؤسسات المعرفة ليس إلا واحداً من مكونات السياق المجتمعي المركب لمنظومة المعرفة. هو المكون الأقرب لعمل المنظومة ولكنه، هو ذاته، مرهون بمقومات للسياق المجتمعي لمنظومة المعرفة قد تبدو أبعد ولكن فعلها يمكن أن يكون أقوى، إن تشجيعاً أو إعاقة، لبناء رأس المال المعرفي وتوسيع الثروة المعرفية. وتتمثل المقومات الحاكمة للسياق المجتمعي لمنظومة اكتساب المعرفة، خاصة في منظور الوطن العربي، في الثقافة السائدة، شاملة عوامل حاكمة مثل التراث الفكري والدين واللغة؛ والتشكيلة الاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك طبيعة نمط الإنتاج ومستوى النمو وتوزيع الدخل والثروة، وما يرتبط بها من نسق حوافز مجتمعي، ويتطلب في حالة البلدان العربية اهتماماً خاصاً بمسألة الهجرة، خاصة هجرة الكفاءات؛ والسياسي والقانوني المنظم لعمليات ومؤسسات نشر وإنتاج المعرفة، لاسيما فيما يتصل بمكانة الحريات المفتاح للرأي والتعبير والتنظيم، ودور منظمات العاملين على المعرفة في السياق المجتمعي الكلي بأبعاده الداخلية والخارجية.

ويحيط بكل هذه المكونات، ويفعل بها، السياق الإقليمي والعالمي لاكتساب المعرفة. ولهاتين الشريحتين من محددات اكتساب المعرفة أهمية خاصة في حالة البلدان العربية، خاصة في ظل تسارع العولمة.

ويمكن تمثيل مجمل عناصر منظومة المعرفة والسياسات المجتمعية المؤثرة عليها هذه، والعلاقات بينها، بيانياً، في النموذج التوضيحي المبسط التالي، والذي يقابل فصول التقرير (الثاني- الثامن، والمشار إليها بالأرقام الواردة في الشكل).

يضم الشكل ثلاثة نطاقات تتمركز كلها حول قلب منظومة اكتساب المعرفة، أي رأس المال المعرفي (الفصل الرابع)، وتقع كلها في بيئتين، إقليمية وعالمية، مؤثرة. ويفعل كل نطاق في باقي النطاقات أساساً عبر النطاق الأقرب.

يحيط برأس المال المعرفي مباشرة جناحاً اكتساب المعرفة: نشر المعرفة (الفصل الثاني) وإنتاج المعرفة (الفصل الثالث). ويحيط بمنظومة اكتساب المعرفة السياق التنظيمي للمعرفة (الفصل الخامس). ويحيط بكل ما سبق السياق المجتمعي لاكتساب المعرفة شاملاً الثقافة (الفصل السادس) والبنية الاجتماعية والاقتصادية (الفصل السابع) والسياسي،

يتطلب تحويل

الثروة المعرفية إلى

رأس مال معرفي،

وتوظيف رأس المال

المعرفي بكفاءة في

إنتاج معارف

جديدة، عمليتين

مجتمعتين

مترابطتين، محور

الأولى نشر المعرفة

المتاحة بينما

تنصب الثانية على

العمليات المباشرة

لإنتاج معارف

جديدة في مجالات

المعرفة جميعها.

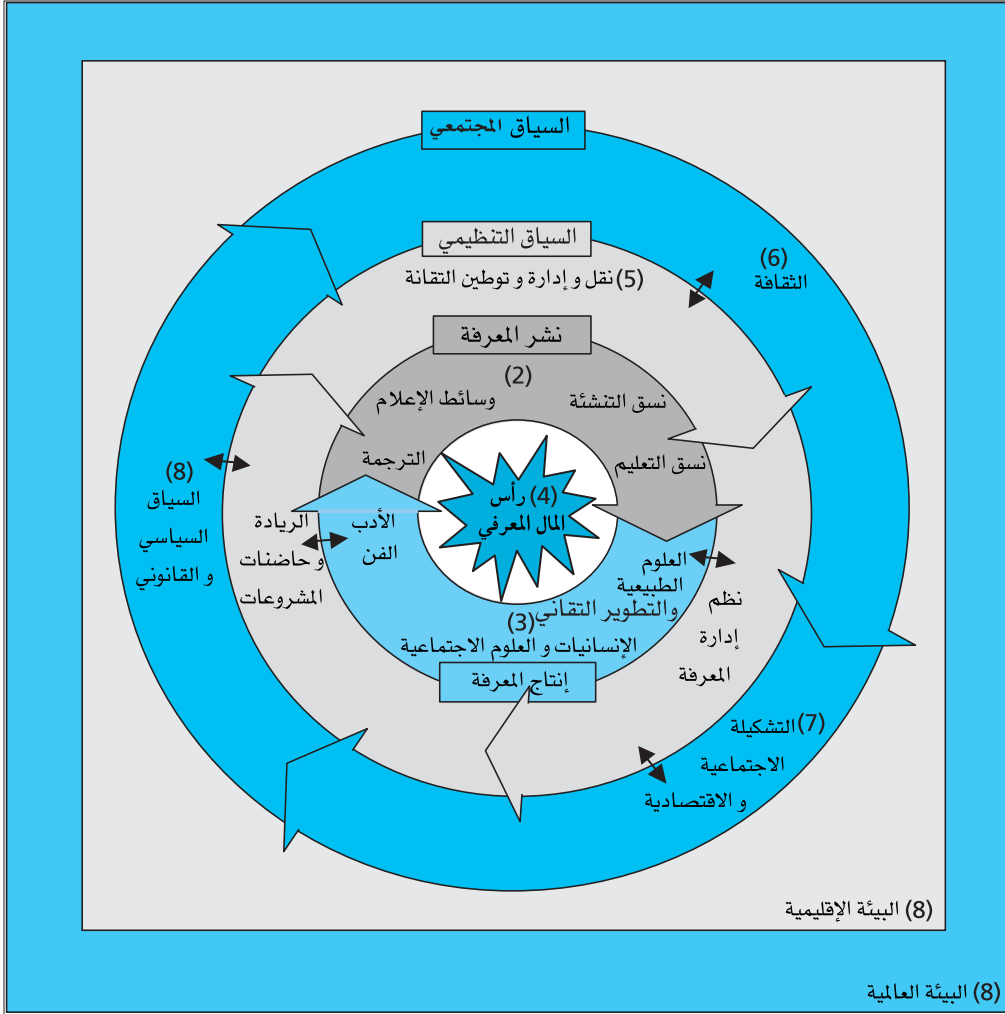
يعد السياق

التنظيمي لنشر

وإنتاج المعرفة أحد

أهم محددات إقامة

مجتمع المعرفة.



إقامة مجتمع
المعرفة في البلدان
العربية تمثل
استعادة لواحدة
من درر تاريخ
الوطن العربي.

المنظور، فإن إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية تمثل استعادة لواحدة من درر تاريخ الوطن العربي. ولا يقتصر الدور الريادي للبلدان العربية في اكتساب المعرفة على صعيد العالم على المساهمة العربية الإسلامية في إثراء المعرفة الإنسانية، فقد ظلت " مكتبة الإسكندرية" منارة للمعرفة على صعيد العالم كله عدة قرون قبل العصر العربي الإسلامي.

وتشير هذه المفارقة التاريخية تساؤلاً جوهرياً: كيف يمكن توطین اكتساب المعرفة حقاً في الوطن العربي، أي دون الاقتصار على مجرد استيراد بعض تطبيقات العلم ونتائجه على صورة سلع وخدمات من شركات ومؤسسات في مواطن إنتاج المعرفة الحالية؟

هذا السؤال ما فتى يشغل بال الكثيرين من العلماء والمفكرين والمسؤولين السياسيين وغيرهم طوال القرنين الماضيين؛ وهو نفسه يعبر الآن عن أكبر التحديات التي تواجه الوطن العربي المعاصر، الذي لم يتمكن بعد من النجاح في

متمضمنا البيئتين الإقليمية والعالمية (الفصل الثامن).

العرب والمعرفة

يثير مشروع إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية، وفق الإطار المفهومي الذي قدمنا أعلاه، إشكاليات عديدة نعرض بإيجاز لبعض من أهمها فيما يلي.

تاريخ طويل ومختلط، يفضي إلى تحدٍ

للوطن العربي تاريخ طويل، ومختلط، مع اكتساب المعرفة. فإن كان تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002 قد خلص إلى التخلف النسبي للبلدان العربية في مضممار اكتساب المعرفة باعتباره أحد النواقص الجوهرية المعوقة للتنمية الإنسانية في بداية القرن الحادي والعشرين، فالتاريخ يفيد أنه كان للعرب في حقب سابقة مساهمات بارزة في إنتاج المعرفة ومن ثم في إغناء الرصيد المعرفي للبشرية جمعاء. وفي هذا

توطين المعرفة كمؤسسة اجتماعية وكبعد حضاري أصيل.

والسؤال المطروح هنا، أي التحدي المعرفي، يهم الكثير من بلدان العالم الثالث ولاشك. ولكن حتى لا تقع في التعميم المخل، علينا أولاً أن نوضح بعضاً من خصوصيات الوطن العربي، الموروث منها والمكتسب، تلك التي يمكن الاستفادة منها وتلك التي تقف أيضاً عائقاً أمام توطين اكتساب المعرفة.

أهم ملامح الحضارة العلمية العربية الإسلامية

لا يمكن بحال فهم الحضارة الإسلامية منذ بدايتها دون الوقوف على البعد العلمي فيها. فإذا رجعنا إلى التاريخ فسنجد مع بداية الدولة العباسية في القرن الثامن الميلادي، نهضة علمية لا تقل أهمية عن تلك التي سنشاهدها إبان القرن السابع عشر في أوروبا. ولفهم هذه النهضة العلمية لابد من التذكير بعوامل عدة منها: تشجيع السلطة السياسية والاجتماعية وتثبيتها الوسائل المادية والباحثين؛ وهذا ما يستفاد مما يروى عن خلفاء العباسيين وعن إنشاء بيوت الحكمة والمراسد. واستمر هذا النهج بعد تمزق الخلافة وقيام الدويلات المتنافسة التي تعددت معها المراكز العلمية. فقد أدى هذا إلى خلق "المدينة العلمية" بفرقها المتعددة والمتنافسة. فلو أخذنا بغداد في منتصف القرن الثالث الهجري مثلاً لوجدنا إحدى صور هذه المدينة العلمية بفرقها المتنوعة.

أما العامل الثاني فقد انبثق من حاجات المجتمع الجديد من مادية وثقافية. فلقد اقتضت الدولة الجديدة الشاسعة الأنحاء، المتعددة

الحضارات والأنظمة، تعميراً وتوحيداً مما ألزم الاستعانة بالعلم. فإنباط المياه الجوفية، وشق القنوات وإنشاء المدن ومد الطرق وتنظيم الدواوين، وجباية الخراج، ومسح الأراضي، وغير ذلك أدى إلى توحيد النظم الحسابية والاستعانة بالجبر وفروع الهندسة: أي الاستعانة بالعلوم لحل مسائل عملية. كما أدت الفرائض الدينية، من صوم وصلاة وحج إلى أبحاث فلكية كان لها جلّ الأثر في رقي "علم الهيئة". وأدى علم الميقات والوظيفة الاجتماعية الجديدة- أي وظيفة المؤقت- إلى تمثل الثقافة التقليدية للبحث العلمي. وساعدت الدواوين والوظيفة الاجتماعية الجديدة- أي الكاتب- على تقدم الحساب والجبر. ويمكن أن نعدد أمثلة أخرى من الطب والكيمياء وعلم الحيل¹⁶. فالعلم أصبح بتطبيقاته جزءاً من الممارسة الاجتماعية، كما كان جزءاً من تلك الممارسة عن طريق التدريس والبحث. فلم يكن العلم هامشياً في المدينة العربية-الإسلامية، ولم يكن هامشياً في الثقافة العامة. وهذه إحدى خصائص الحضارة العربية حتى في عصور الانحطاط.

أما العامل الثالث، الذي أسهم في النهضة العلمية فهو نهضة أخرى سبقتها في العلوم الإنسانية والاجتماعية، أي علم الكلام وعلوم اللغة والتاريخ والفقه والتفسير وغيرها. فقد أثارت هذه العلوم الاجتماعية والإنسانية العديد من المسائل التي تطلب حلها بالأخذ بالعلوم الأخرى من رياضية وغيرها وتطويرها، أو ابتكار علوم جديدة - مثل علم التباديل والتوافيق. ولضرب مثل على هذا، فلنذكر "كتاب العين" للخليل بن أحمد وظهور أول عمل معجمي في التاريخ. كان هذا العمل يقتضي معرفة متقنة بعلم الأصوات وكذلك بمبادئ حساب التوافيق والتباديل لحصر ألفاظ اللغة. هذا ما أخذ به "الخليل".

عوامل النهضة

العلمية الإسلامية:

- تشجيع السلطة

السياسية

والاجتماعية

وتهيئتها لأسباب

التقدم.

- حاجات مادية

وثقافية جديدة

للمجتمع.

- نهضة سبقت في

العلوم الإنسانية

والاجتماعية.

الإسلام بوتقة للثقافات

الإطار 4-1

"علم هندوسي". كان العلم لدى العباسيين واحداً، متأثرين على ما يبدو بإشارات عديدة في القرآن للنظر في غرائب الكون كسبيل لتمجيد الخالق. وهكذا جمعوا بين الإيمان والعقل، وكلاهما هبة من الله، متضامين ومتآزرين. لم يكن الإسلام أبداً انعزالياً، إذ أن العباسيين اتصلوا بجميع التقاليد الثقافية، معتقدين أن التعلم كوني وغير مقتصر على مجالهم".
المصدر: جريجوريان، (بالإنجليزية)، 2001.

واليونانية والإسبانية والصقلية والبيزنطية. بحيث كانت هذه الحقبة الإسلامية بحق، بوتقة للثقافات، والأديان، والتعلم والمعرفة- حقبة أنشأت حضارات عظيمة وأثرت على أخرى من أفريقيا حتى الصين.

وقد امتدح هذا العصر الذهبي لاحتضانه المنفتح للعلم الكوني أينما كان مصدره- اعتقاداً بأنه لم يوجد "علم مسيحي" أو "علم يهودي" أو "علم مسلم" أو "علم زرداشتي" أو

"يرى المؤرخون أن الإرث الثري للحضارة الإسلامية يعود جزئياً إلى قدرتها الفائقة على استيعاب الثقافات المختلفة والتقاليد الحضارية من جنوب أوروبا وحتى وسط آسيا، وقبولها".

"لم يكتف العباسيون بالترجمة، ولكن جمعوا المعرفة وأضافوا إليها، مشيدين حضارتهم من العطاء الفكري لثقافات عديدة تضم الصينية والهندية والإيرانية والمصرية والشمال أفريقية

بكلمتين، جبرية¹⁷ تحليلية، أما التجريب ودخوله مع "الحسن بن الهيثم" كميّار برهاني في البحث الفيزيائي فقد أدى إلى تضيق الفجوة العميقة التي كانت تفصل بين العلم والفن في الثقافة اليونانية. فلقد تغيرت العلاقة بينهما في الثقافة العربية.

وهكذا يمكن القول بأن عصر الازدهار العلمي العربي قد أنتج، في سياقه التاريخي، مجتمع معرفة بكامل معنى المصطلح، بمعنى قيام قدرة على إنتاج معارف جديدة، في جميع فروع المعرفة وعلى أعلى مستوى، وانتشار توظيف العلم بكفاءة في شتى مناحي الحياة لا ريب، في حدود مستوى التطور البشري المعاصر في ذلك الحين¹⁸.

والغريب أن هذا الإرث الحضاري العلمي واللغوي لم يُجَدِّ عندما حاول البعض إثارة السؤال حول توطين العلم في العالم العربي (فمحاولات التحديث العلمي في القرن التاسع عشر بل وفي منتصف القرن العشرين- محمد علي، عبد الناصر- لم يبذل أصحابها جهداً كبيراً للاستفادة من هذا الإرث والبناء عليه بالاستفادة من عبره، خاصة فيما يتصل بأسباب النهضة العلمية العربية، بل سعوا رأساً إلى نقل ما كان في الغرب). ولا ريب أن إهمال هذا الإرث والتصور النفعي للعلم الذي استورد مع ما استورد من أوروبا في القرن التاسع عشر والذي هيمن- ولازال يهيمن- على عقول المسؤولين والمفكرين الإصلاحيين كان من بين عوائق إقامة مجتمع المعرفة في الوطن العربي.

النموذج المعرفي العربي الراهن

تتجاذب النموذج المعرفي العام في الوطن العربي تيارات شتى، ذلك أن الفكر العربي الحديث والمعاصر يتضمن اتجاهات ومناهج عدة ترتبط كل منها بعوامل ودوافع اجتماعية وسياسية وإيديولوجية، قد تتأخى في هذا الطرف أو ذلك دون أن تتكامل أو تتغلب على فرقته، شأن المجتمعات والأمم جميعاً. فهناك اتجاهات إسلامية متشددة، وإسلامية إصلاحية، وتقدمية تنموية، وماركسية، وليبرالية، وتقانية، ووضعية، إلى غير ذلك من الاتجاهات المنظورة في الإنتاج الفكري العربي في المجالات المختلفة، في السياسة، وفي التاريخ، وفي المجتمع، وفي الاقتصاد، وفي الفلسفة، وفي العلم.

لذلك نجد في "الفكر العربي"، أي الإنتاج الفكري المكتوب باللغة العربية، تمايزاً وتناحراً في

فمن الواضح أن هذه النهضة العلمية شملت كل فروع المعرفة في ذلك الوقت ولم تقتصر على بعضها دون البعض الآخر. كما شملت أيضاً الفروع النظرية والتطبيقات المتعلقة باحتياجات المجتمع الجديد. وهكذا أصبح العلم جزءاً أساسياً من الثقافة العامة التي لم تكن دينية- لغوية أدبية فحسب.

بُنيت هذه الثقافة العلمية الجديدة ابتداءً من نقل علوم الأوائل وخاصة تلك التي ترعرعت في أحضان الحضارة اليونانية كما هو معروف. ولكن إذا تأملنا حركة الترجمة العلمية، من فلكية ورياضية على الأخص، والتي كانت أكبر حركة ترجمة علمية عرفها التاريخ، فسيظهر لنا خاصة أخرى ذات معنى عميق. سنرى أن هذه الترجمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبحث العلمي وبالإبداع. فلم يكن القصد من هذه الترجمة، إنشاء مكتبة علمية لإثراء خزائن الخلفاء والأمرء، بل لتلبية حاجات البحث العلمي. ويكفي أن نذكر هنا أن المترجمين أنفسهم كانوا من قادة الحركة العلمية، بل إن بعضهم من العلماء الخالدين على مر العصور، فمن بينهم: "الحجاج بن مطر" و"ثابت بن قرة" و"قسطن بن لوقا". كما أن اختيار الكتب- وكذلك توقيت هذا الاختيار- كانا وثيقي الصلة بما يعرض للبحث. ولتأخذ مثلاً واحداً: فعندما ترجم "ثابت بن قرة" عدة كتب من مخطوطات "أبلونيوس"- وهي أصعب وأرقى ما كتب في الهندسة اليونانية- كان ذلك لحاجته إليها في أبحاثه الرياضية الجديدة وخاصة تلك المتعلقة بحساب المساحات والحجوم. فارتباط الترجمة العلمية بالبحث العلمي المتقدم ليس حقيقة تاريخية فحسب، بل هو يفسر لنا في مجال الفلك والرياضيات سر نشاط الترجمة على أيدي طبقة الباحثين، كما يبين لنا بعض خصائص الترجمة اللغوية.

ولا مجال للشك أن أحد النتائج لكل هذه الأنشطة هو نشأة اللغة العربية العلمية عند النقاء تيارين للبحث، أحدهما في العلوم الإنسانية وخاصة اللغوية منها، والآخر هو تيار البحث العلمي نفسه الذي سلك نهجين متزامنين، أي الترجمة المرتبطة بالبحث العلمي، وبالإبداع فيه، وابتكار علوم جديدة لم يعرفها القدماء. ولعل أهم خاصيتين للمعرفة الجديدة التي أنتجتها الحضارة العربية هما:

1 عقلانية رياضية جديدة

2 التجريب كنمط من أنماط البرهان

أما العقلانية الجديدة، فيمكن وصفها

شملت النهضة العلمية العربية في القرن الثامن كل فروع المعرفة في ذلك الوقت. كما شملت أيضاً الفروع النظرية والتطبيقات المتعلقة باحتياجات المجتمع الجديد. وهكذا أصبح العلم جزءاً أساسياً من الثقافة العامة التي لم تكن دينية- لغوية أدبية فحسب.

إن عصر الازدهار العلمي العربي قد أنتج، في سياقه التاريخي، مجتمع معرفة.

17 من الجبر - فرع الرياضيات.

18 لا يقل من صحة صفة «مجتمع المعرفة» في هذا السياق التاريخي، أن بعض وسائل المعرفة الأحدث، مثل الحواسيب الإلكترونية أو الإنترنت، لم تكن قد ظهرت بعد.

بعض الأحيان بين الاتجاهات المختلفة، ولو أنها تتناول جملة مشتركة من الموضوعات: التقدم والتأخر، الأصالة والمعاصرة، الأنا والآخر، العرب (المسلمون) والغرب، وهي مواضيع نراها متواترة الحضور في الدراسات والكتابات التي تتناول التاريخ والمجتمع والسياسة، ورأيها متواترة منذ ما يزيد عن القرن من الزمان. وكأن الحياة العقلية في العالم العربي مازالت تدور حول نفسها منذ بدايات عصر النهضة دون أن تتجاوز ذاتها نحو مجالات أكبر إنتاجاً وجدوى من وجهة النظر المعرفية، وكأنها دائمة الاكتفاء بالعناوين العامة والعريضة ذات الفحوى الشعاري والاستهاضي- أو البيكاثي النادب للذات وللحظ العاثر معاً، وملقياً اللوم على الغير- دون اكتفاء النظر في كفاية هذه العناوين لفهم واقع المجتمعات العربية العصري على الاختزال.

هذه الأمور لا تعكس بالضرورة قصوراً "خلقياً" في "العقل العربي" بقدر ما تعكس سمة اجتماعية- سياسية بالغة الأثر على العلم والثقافة وبالغة العموم في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، وهي الدرجة العالية من دخول الهم السياسي- بالمعنى العريض- على العمل الفكري وعلى تلقيه.

إن "الأنا" و"الآخر" وغيرهما كتل معقدة ومتراكبة، ويجدر بالباحث أن يحددها استناداً إلى مفاهيم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد وغيرها

حتى يكون قادراً على سيرها سيراً متأنياً مستنداً إلى الواقع المتحول. وان الاكتفاء بالقوانين العريضة وتجريد الواقع الماضي من وقائعه واختزاله إلى المثالب والمناقب، ومواقع العزة ومكافحة الذل والمهانة، يستبطن سلباً للواقع عن مواقفه وفعله وآلياته، ولا يفيد معرفة مضبوطة: من هذه الأمور على سبيل المثال تناسي وقائع تاريخ العرب الحديث، ورده رداً تبسيطياً إلى الأصيل والدخيل، والذاتي والمغترب والمستمر والمنقطع، وسرده على أنه تاريخ اغتراب وفساد في الوقت الذي شهد فيه العالم العربي إنتاجاً علمياً وفكرياً وثقافياً جديراً، ومر بتجارب ديمقراطية، ورأى تحولات اجتماعية-سياسية بالغة الأهمية. إن عدم النظر في هذه الأمور وغيرها، على اعتبار أنها ما اكتملت، والحكم بالغياب استناداً إلى عدم الاكتمال، شأن بالغ الضرر خصوصاً وأننا نتحدث عن مجتمعات مازالت في طور النمو ولا يحق لأهلها ولا لغيرهم الحكم عليها بعدم الأهلية استناداً إلى القول بعدم الاكتمال- حيث أن عملية التقدم على كل حال غير مكتملة في أي ناحية من أنحاء المعمورة، ونجد في كل مكان تفاوتات وتميزات تنموية وثقافية واجتماعية وخلافها.

وحرى بنا في هذا المقام تذاكر المساهمات المعرفية القيمة والهادفة للإصلاح المجتمعي لأجيال النهضة العربية الحديثة بتياراتها الثلاثة في مصر والشام والمغرب: الإصلاح الديني عند

تعكس موضوعات

الفكر العربي

الدرجة العالية من

دخول الهم

السياسي- بالمعنى

العريض- على

العمل الفكري

وعلى تلقيه.

إنَّ شريعة الإسلام

ليست نظاماً

منفصلاً عن

تطلعات الناس

ومصالحهم،

ولكنها- بمصادرها

كلها- وسيلة

لتحقيق هذه

التطلعات وحماية

تلك المصالح، وهي

عدل كلها ورحمة

كلها.

أحمد كمال أبو المجد: نحو لغة إيمانية جديدة

الإطار 5-1

<p>هي شاهد بكلمات الله على خلق الله .. والمسلم مطالب بأن يتدبر القرآن، ولكنه مطالب- كذلك- بأن يسير في الأرض وأن يتدبر آيات الله في الناس وفي الأفق ..</p> <p>وشريعة الإسلام ليست نظاماً منفصلاً عن تطلعات الناس ومصالحهم، ولكنها- بمصادرها كلها- وسيلة لتحقيق هذه التطلعات وحماية تلك المصالح، وهي عدل كلها ورحمة كلها. "وكل مسألة خرجت من العدل إلى الظلم، ومن القسط إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها، فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل".</p> <p>والمسلمون لا ينفصلون أبداً عن الناس، وإنما هم أصحاب رسالة بين الناس. وهم- بإسلامهم- شهود على الناس ولكنهم يظنون دائماً على خط الأفق الواحد مع سائر الأمم والشعوب، ليس لهم على أحدٍ من الناس من ولا استعلاء</p>	<p>إن اللغة الإيمانية السائدة تفصل بين عالمين كلاهما من صنع الله، عالم النصوص (قرآناً وسنة) وعالم الحياة بكل ما فيها ومن فيها .</p> <p>إن أول مفاتيح اللغة الإيمانية الجديدة أن يعرف المسلمون أن الإيمان بالغيب لا يلغي دور العقل، وأن تطبيق الشريعة لا يعني عن معالجة مشاكل الناس بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية، وأن الإسلام لا يقوم على أنقاض تراث البشرية، ولا يحرض على هدم تجارب الشعوب وإسقاطها، وإنما وظيفته الأساسية أن يضيف إليها عنصر الهداية والرشد وأن يوجه حركتها لما ينفع الناس، وفي ظل هذه اللغة الإيمانية الجديدة لابد أن تظهر قراءات جديدة للشعائر القديمة.</p> <p>فالنصوص كلها- وعلى رأسها آيات القرآن الكريم- ليست عالماً آخر يضاف إلى هذا العالم، وإنما</p>
---	--

الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي وعبد الحميد بن باديس وشكيب أرسلان وعلال الفاسي، والليبرالي عند الطهطاوي وأحمد لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين وخير الدين التونسي واليازجي والبستاني، والعلماني عند شبلي شميل وفرح انطون وسلامة موسى.

القوة المهيمنة على تقييد عرض المعرفة، خاصة تلك ذات الطابع النقدي المحرر للناس من هيمنتها، إلا أن قصور الطلب على المعرفة يمكن أن يكون عاملاً مهماً في ضعف إنتاج المعرفة ونشرها في البلدان النامية.

ولعل المدهش في دراسة الطلب على المعرفة هو صعوبة انتشارها في بعض الأحيان¹⁹ بالرغم من خصائصها الرئيسية كسلعة: اللاتنافسية²⁰ ولانهائية الذبوع²¹؛ والأثيرية²² التي يفترض أن تزيد من فرص انتشارها.

كل هذا يوجب التمعن في خصائص وحركية الطلب على المعرفة، خاصة في البلدان العربية.

قطاعات الطلب على المعرفة

تتعدد مصادر الطلب على المعرفة في أي مجتمع. فيقوم أولاً طلب على المعرفة من القطاع العائلي استثماراً في تكوين رأس المال البشري لأفراد الأسر ولاتخاذ القرارات الاجتماعية والاقتصادية في نطاق الأسر. وينشأ كذلك طلب على المعرفة من قطاعات الدولة والمجتمع المدني وقطاع الأعمال - العام والخاص، يزداد قوة كلما ارتفعت جرة العقلانية في اتخاذ القرار، وقوي الاعتقاد بضرورة، وفائدة، توظيف المعرفة في نشاط وحدات في القطاعات الثلاثة، كل في منظوره. وتعد المكونات المؤسسية لمنظومة المعرفة، في مجالي النشر والإنتاج، من أهم مصادر الطلب على المعرفة، حيث يتطور طلب فعال على المعرفة من نشاط هذه المؤسسات في حد ذاته.

محددات الطلب على المعرفة

في المنظور الاقتصادي البحث، تلعب محددات القدرة الشرائية دوراً مهماً في الطلب على المعرفة الخاضعة لآليات السوق. فانخفاض الدخل مع ارتفاع سعر المعرفة، أو السلع المجسدة للمعرفة، كوابح منطقية للطلب على المعرفة. فإن قطاعات واسعة من العرب محدودة الدخل، كما أن تكلفة التوصل لسبل اكتساب المعرفة، خاصة تلك المستوردة من الخارج مباشرة أو يعتمد إنتاجها محلياً على مكونات مستوردة من الخارج، سلعا أو خدمات، يرتفع سعرها بسبب اقتضاء ريع على إنتاج المعرفة ثم تجسيدها في سلع وخدمات، أو بسبب الاحتكار محلياً²³.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أنه تقوم، في اللحظة التاريخية الراهنة، معوقات مجتمعية تؤدي إلى الإحجام عن إنتاج المعرفة في البلدان العربية، منها الصراع الثقافي الدائر بين تيارات سياسية، على ساحة "أسلمة المعرفة" مثلاً، ومنها مناخ الاستبداد السائد في الدول العربية وضعف الإمكانيات المخصصة لنشر وإنتاج المعرفة، ومنها أيضاً قلة استعداد المفكرين للخوض في أمور جوهرية تتعلق بالتاريخ وبالواقع معاً، وترددهم حيال إخضاع مجتمعنا وماضينا لنظر متأن مدقق. هذا على حين يجدر بنا مثلاً أن نعتبر قضية البحث في التاريخ العربي والتراث وتشجيع النظر العلمي والإصلاحي فيهما، أحد مفاتيح اقتدارنا على إنتاج المعرفة، وإنماء المقدرات الآلية إلى مجتمع المعرفة. بل يتعين ألا يستبعد من نطاق النظر العلمي هذا أي من سمات الأمة أو قضاياها.

النموذج المعرفي العربي، أو ما يسمى أحياناً "العقل العربي"، إذن، برنامج أكثر مما هو واقع. هو نموذج في طور التشكل، وفي هذا نرى فرصة تاريخية لا يجب أن تفوت. إذ تحسن البلدان العربية صنعا بالعمل على توطين العلم والمعرفة لتكون دعائم أساسية للنموذج المعرفي العربي الأخذ في التشكل.

الطلب على المعرفة في البلدان العربية

عرضنا أنفاً، بإيجاز، للسمات الاقتصادية للمعرفة باعتبارها سلعة (طبية اقتصادية)، وناقش الآن بقليل تفصيل مسألة الطلب على المعرفة باعتباره من أهم محددات توافر المعرفة، خاصة إنتاجها، في المجتمع.

في دراسات المعرفة عادة ما يتركز الاهتمام على جانب العرض المتمثل في عمليتي نشر وإنتاج المعرفة اللتين سنتناولهما في فصول لاحقة.

ورغم أنه في المجتمعات القهرية تعمل هياكل

تقوم، في اللحظة

التاريخية الراهنة،

معوقات مجتمعية

تؤدي إلى الإحجام

عن إنتاج المعرفة.

تحسن البلدان

العربية صنعا

بالعمل على توطين

العلم والمعرفة

لتكون دعائم

أساسية للنموذج

المعرفي العربي

الأخذ في التشكل.

19 من الأمثلة المتداولة على ذلك هوقلة انتشار نظم البرمجيات المفتوحة open-source software مثل نظام لينوكس، Linux بالرغم من مجانيته وسهولة توافرها. مع ملاحظة

أن هناك انطباعاً ليس صحيحاً بالضرورة، أن النظام صعب أو غير مستقر.

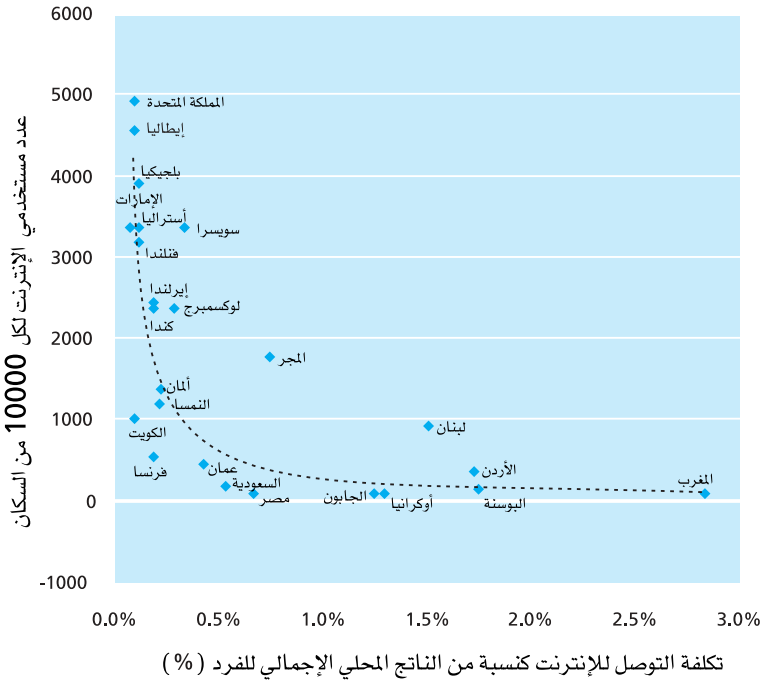
20 non-rival بمعنى أن استهلاك المعرفة بواسطة فرد ما لا يمنع توافرها لآخرين.

21 infinitely expansionable بمعنى أنه مهما ارتفعت تكلفة الإنتاج أول مرة، فإن التكلفة الحدية لما بعد الاستخدام الأول تكون ضئيلة.

22 aspatial-weightless بمعنى قدرتها على تخطي المسافات والحدود، خاصة إذا كانت مرقمنة digitised.

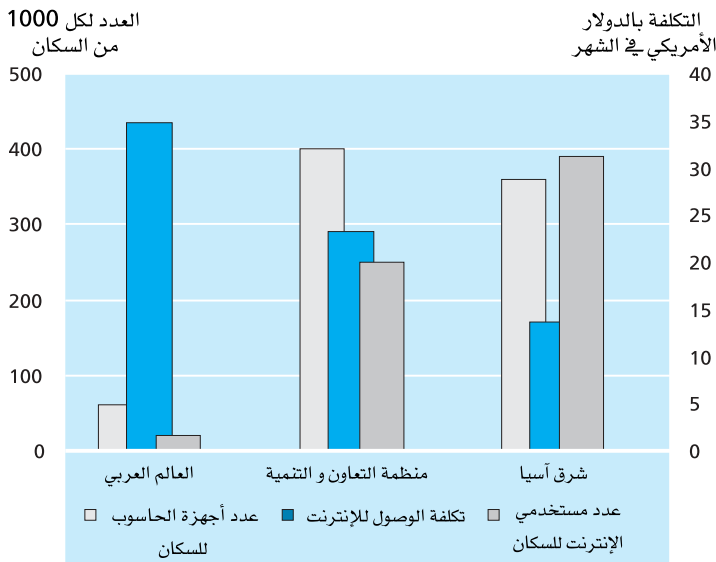
23 انظر مثلاً في ارتفاع تكلفة خدمات الهاتف المحمول.

العلاقة بين تكلفة الإنترنت ومدى انتشارها، بلدان عربية وأخرى مقارنة، 2002



المصدر: الاتحاد الدولي للاتصالات (بالإنجليزية)، 2002.

مقارنة توافر الحواسيب الشخصية، وتكلفة الإنترنت بمدى انتشارها البلدان العربية وبلدان منظمة التعاون والتنمية وشرق آسيا، 2001



المصدر: المنتدى الاقتصادي العالمي (بالإنجليزية)، 2002، 37.

منظومة المعرفة في إنشاء الطلب على المعرفة بمجرد قيامها بدورها الطبيعي. ومن ثم تنشأ في المجتمعات التي تضعف فيها منظومة المعرفة حلقة شريرة من تردي عرض المعرفة يكبح بدوره الطلب عليها مباشرة، وهاتان سمتان جوهريتان لحالة ركود المعرفة في البلدان المتخلفة. وجدير بالإشارة أن قصور منظومة المعرفة يقلل من الطلب على المعرفة بصورة غير مباشرة أيضاً، حيث يشكو صناع القرار في

ويوثق الشكل 3-1 أثر التكلفة على انتشار وسائل التوصل للمعرفة في حالة الإنترنت، حيث يظهر بشكل واضح على صعيد المنطقة العربية والعالم على حد سواء أن ارتفاع تكلفة التوصل للإنترنت ترتبط بقوة بقلّة انتشارها.

وتتأكد الطبيعة الكابحة لارتفاع تكلفة الإنترنت على مدى انتشارها من شكل 4-1 حيث تقترن التكلفة الأعلى للإنترنت في المنطقة العربية بانتشار أقل، مقارنة بالبلدان المصنعة وشرق آسيا على حد سواء.

وبوجه عام، يتأثر الطلب على سلعة ما على مدى الحاجة لسلع وخدمات متنافسة في سياق نمط الاستهلاك القائم وأسعارها.

وحيث أن بعض البلدان العربية يسودها نمط استهلاك يميل إلى التفاخرية لدى البعض، على حين تبقى بعض حاجات أساسية غير مشبعة على وجه مقبول لدى الآخرين، وتميل تكلفتها إلى الارتفاع بسبب تراجع الحكومات عن تقديم بعض الخدمات الأساسية، ونتيجة لقلّة التنافسية، فإن من غير المستغرب أن يتدنى الطلب على المعرفة والسلع والخدمات المجسدة لها. ولنتصور فرصة تبلور طلب على التوصل لخدمة الإنترنت في تنافس مع الحاجة للرعاية الصحية مثلاً.

وتحدد خصائص المستهلكين المحتملين للمعرفة (صناع القرار في الأسر والمشروعات الإنتاجية ومؤسسات الدولة والمجتمع المدني)، وتفضيلاتهم، حجم الطلب على المعرفة.

ومن جانب، فإن الأسر العربية قد عبرت دائماً عن تقدير عالٍ لتعليم أولادها على أرقى مستوى ممكن، كوسيلة للحصول على مكانة اجتماعية متميزة، واستعداد لتحمّل تكلفته ولو أرهقت ميزانيتهم. ويظهر هذا بأشكال مختلفة منها الدروس الخصوصية والالتحاق بالمدارس الخاصة. ومن جانب آخر، يمكن الإشارة إلى أن اتخاذ القرار في المؤسسات المجتمعية في البلدان العربية يميل لأن يتركز في أيدي أجيال تميل إلى التسلطية، ويتأثر اتخاذ القرار لديها أساساً باعتبارات تقليدية تعلي من شأن الانتماءات والولاءات الضيقة وما يرافقها من تفشي المحسوبية والمحاباة- أكثر من العقلانية العلمية، التي تفرض بناء القرارات على المعرفة. وفي العقود الثلاثة الأخيرة، ضاعف من هذه المشكلة صعود قيم المال والحظوة من السلطة في نسق الحوافز المجتمعية في البلدان العربية.

وقد أشرنا فيما سبق إلى أهمية مؤسسات

السلامة أو الاستكانة لغياب المعرفة عن حياتهم.

وعلى سبيل المثال، فإن فرض الرقابة على الإنترنت أمر ذائع في البلدان العربية، وهكذا فإن الظاهرة الكونية التي نشأت أصلاً لتجاوز الحدود وتخطي المسافات لم تقلت من مقص الرقيب في البلدان العربية. ففي العراق مثلاً لم يكن ممكناً التوصل للإنترنت حتى منتصف العام 2000، وحتى بعد ذلك ظل التوصل محدوداً. وفي بلد عربي غني كبير منعت الحكومة 400000 موقع على الإنترنت منذ سمحت بالتوصل للشبكة في العام 1999. ومع زيادة عدد مستخدمي الشبكة في العام 2001، شددت الرقابة مجدداً على التوصل للإنترنت (مركز أسواق العالم، بالإنجليزية، 2002).

وسنعود لهذا الجانب بقدر من التفصيل في الفصل الثامن عند مناقشة السياق السياسي للمعرفة، ومرة أخرى في الرؤية الاستراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية.

قطاعات المجتمع المختلفة، وبحق، من ضعف دعم مؤسسات منظومة المعرفة لنشاطهم حال اللجوء إليها.

غير أن هناك جانباً آخر لقصور السياق المجتمعي في البلدان العربية عن إنشاء طلب فعّال على المعرفة. فمع ضعف منظومة المعرفة، وتفشي آليات اجتماعية بديلة وناجعة لحل المشكلات المجتمعية مثل المحسوبة والمحابة، تسود انطباعات، غير صحيحة، عن عدم جدوى المعرفة في حل مشكلات النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، أو صعوبة التوصل لمثل هذه المعرفة، بما يؤدي بصناع القرار إلى الانكفاء على ما ألفوه من وسائل وآليات تصرف.

وفي النهاية، فإن الإكراه قد يفلح في كبت الطلب على المعرفة أو حتى حبسه بأكثر مما تفعل الكوابح الاقتصادية والاجتماعية، فحيث يضيق على الحرية تُفرض قيود، بل أحياناً عقوبات، على اكتساب المعرفة تجعل الطالبين المحتملين يؤثران

مع ضعف منظومة

المعرفة، وتفشي

آليات اجتماعية

بديلة لحل

المشكلات المجتمعية

مثل المحسوبة

والمحابة، تسود

انطباعات، غير

صحيحة، عن عدم

جدوى المعرفة في

حل مشكلات

النشاط

الاجتماعي

والاقتصادي

والسياسي.

عن الرحلة إلى إقامة مجتمع المعرفة

يضم القسم الثاني من التقرير والمكرس لموضوع إقامة مجتمع المعرفة أربعة أجزاء.

قدمنا في هذا الفصل، الجزء الأول: الإطار التحليلي لدراسة الموضوع، والذي تضمن تعريفًا موجزًا بموضوع المعرفة ومجتمع المعرفة، وعرضًا مختصرًا لقليل من أهم إشكالياته، في تقابلها مع التاريخ والواقع العربي.

وتقدم فصول التقرير التالية رحلة معرفية تقتفي أثر الإطار التحليلي هذا.

تبدأ هذه الرحلة، منطقيًا، بتقييم حال اكتساب المعرفة، نشرا وإنتاجا، في البلدان العربية في مطلع القرن الحادي والعشرين، في الجزء الثاني: حال المعرفة في البلدان العربية (الفصول من الثاني إلى الخامس).

وتتحول بعد ذلك إلى تحليل سمات السياق المجتمعي المؤثر على اكتساب المعرفة في المنطقة في هذه الحقبة من تاريخها، على محاور الثقافة والاقتصاد والاجتماع والسياسة- بالتركيز على ضمان الحرية تحت حكم القانون، وانتهاءً بالبيئة العربية والعالمية لاكتساب المعرفة في الجزء الثالث: السياق المجتمعي المؤثر على اكتساب المعرفة، (الفصول من السادس إلى الثامن).

وتنتهي الرحلة بمقصدها الأساس: رؤية استراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية تصف المعالم الرئيسية لعملية الإصلاح المجتمعي التي يمكن أن تنتهي بإقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية في الجزء الرابع: نحو إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية- الفصل التاسع: رؤية استراتيجية؛ أركان مجتمع المعرفة.